لقاء مع
يوسف رشاد وزوجته

- عندما نظر فاروق إلى بطة اصطادها وقال: تمنيت لو كانت مصطفى النحاس.
- مايلز لامبسون كان فاروق يتمنى قتله لكنه خاف من الإنجليز.
- أمين عثمان كان قتله أمنية من أمنيات فاروق.
- حادث فى القصاصين ولقاء مع يوسف رشاد وزوجته.

فى حوالى الساعة الرابعة من مساء يوم الاثنين ١٥ نوفمبر ١٩٤٣ كان فاروق- وكانت إحدى هواياته قيادة السيارات وبسرعة - يمارس هواية على طريق الإسماعيلية عندما اصطدمت سيارته بسيارة لورى تابعة للجيش البريطانى، فتحطمت سيارة فاروق وأصيب بكسر فى ضلوع الحوض وتم نقله إلى أحد مستشفيات الجيش البريطانى القريبة من مكان الحادث عند مدينة القصاصين فى حالة خطيرة.

ولابد للأمانة أن أقرر أن الجماهير خشيت على فاروق وقلقت عليه وسارت مظاهرات إلى القصاصين تعبر عن مشاعرها لملك مصر.

وقد ظل فاروق فى المستشفى ثلاثة أسابيع نجا خلالها من الموت بأعجوبة بسبب شبابه وقوة احتماله.

ولأن المستشفى البريطانى الذى كان يعالج فيه فاروق يضم أطباء كلهم إنجليز، فلقد انتدب للإشراف على علاج ملك مصر طبيب مصرى متخصص اسمه يوسف رشاد كان يعمل فى سلاح البحرية. وكان يوسف رشاد قويا مفتول العضلات، وهى صفات كانت مطلوبة لمن يتولى الإشراف على علاج فاروق الذى كان فى حاجة فعلا إلى من يحمله من سريره ليضعه فوق كرسى ممدود نهارا، ثم يعيده إلى السرير ليلا.. ولأن مظاهر البدانة والسمنة قد بدأت تظهر على فاروق فى ذلك الوقت فقد كان فى حاجة فعلا إلى طبيب مثل يوسف رشاد أدى مهمته الشاقة ببراعة وسهولة أراحت الملك. ومكافأة له.. أمر فاروق بنقل يوسف رشاد من سلاح البحرية الذى كان يعمل به إلى القصر ليصبح واحدا من حاشية الملك.

ظهور ناهد رشاد

ولم يكن يوسف رشاد وحده هو الذى استولى على إعجاب الملك، فقد شاركته فى هذا الإعجاب أيضا زوجته ناهد التى اشتهرت باسم ناهد رشاد، وكانت فى ذلك الوقت سيدة صغيرة شقراء ذات عينين سوداوين كعيون نساء المغول.

وتنحدر السيدة ناهد من أصل شركسى. وكانت مثل معظم نساء الشركس جميلة.. وقد قرر فاروق أن يلحقها هى الأخرى بالقصر وتصبح وصيفة شقيقته فايزة.

ولكن فيما بعد أصبحت ناهد رشاد من أقرب النساء إلى قلب فاروق وأكثر الشخصيات تأثيرا عليه.

رهان على بطة..!

كان يوسف رشاد قد أصبح واحدا من حاشية الملك الذى يرافقه فى رحلاته، ومنها رحلة قام بها فاروق إلى بحيرة قارون فى الفيوم لعيد البط وقد صحبه فيها عدد من أعضاء نادى الصيد الملكى «الذين يتميزون بإجادة الرماية».

وكان فاروق أيضا من الصيادين الماهرين، وقد استطاع أن يسقط فى هذا اليوم عددا كبيرا من البط.

وكانت العادة أن يجتمع الصيادون بعد انتهاء ساعات الصيد فى الاستراحة الخاصة لفاروق فى الفيوم، ومع كل منهم صيده - وكان أكبر صيد فى ذلك اليوم هو الذى اصطاده الملك. وقد تقدم إليه أحد أفراد حاشيته مهنئا على مهارته، ولكن فاروق بعد كلمة شكر تنهد قائلا وهو يشير إلى البط الملقى على الأرض:

وددت لو كان هذا البط رجالا!

سمع الحاضرون جملة فاروق وقد سادهم الصمت الممزوج بدهشة إلى أن ضحك فاروق قائلا: انظروا إلى هذه البطة الكبيرة، وأشار إليها بإصبعه، أتدرون من وددت أن تكون؟

ولما لم يستمع الملك إلى إجابة أحد منهم فإنه استمر ضاحكا:

وددت لو كانت مصطفى النحاس!

وعاد فاروق يشير إلى بطة أخرى ويسأل: هل يستطيع أحدكم أن يقول من أريد بديلا عن هذه البطة؟

وهنا صاح أحد الحاضرين قائلا: أنا أعرف من هو يامولاى؟

قال فاروق متحديا: إذن سأعطيك ريالا إذا قلت من هو

قال الرجل وكان يعرف كراهية فاروق للأمير محمد على:

إنه ولى العهد الأمير محمد على.

قال الملك: أبدا لقد خسرت الرهان. إنه أمين عثمان.. هل تعرف من هو أمين عثمان.. إنه الخائن عميل الإنجليز!

هدية لناهد رشاد

دخل يوسف على زوجته حاملا صيده وألقى بحمله عند مدخل الباب لتفاجأ به ناهد وقد نظرت إلى الطيور الكثيرة قائلة: ما حسبتك ماهرا إلى هذا الحد. كيف استطعت اصطياد كل هذا البط؟

قال يوسف: لم أصطده كله، لقد أعطانى الملك بعض ما اصطاده قائلا إنه هدية لزوجتك.

واكتسى وجه ناهد بالحمرة لهذه العبارات ثم قالت لزوجها:

ولكن ماذا سنفعل بكل هذه الطيور؟

قال يوسف: نقيم وليمة ندعو إليها أصدقاءنا.

وذهب يوسف: إلى غرفة نومه وخلع ملابسه واستحم ثم عاد إلى الصالون وتناول غليونه وأشعله وطلب من زوجته أن تفرغ له قدحا من الويسكى أخذ يرشفه فى تراخ ثم ما لبث أن ضحك.

قالت ناهد تسأله: ما الذى يضحكك يا يوسف؟

قال يوسف: ماحدث فى رحلة الصيد وما قاله الملك خلال هذه الرحلة.

وحكى لها تسمية الملك لبطة باسم مصطفى النحاس وأخرى باسم أمين عثمان.

لم تضحك ناهد بل استغرقت فى تفكير عميق قطعه يوسف بقوله: ظننت أن هذه القصة سوف تضحكك.

قالت ناهد: هل استخلصت مما قاله الملك شيئا غير السخرية؟

قال يوسف: لم استخلص شيئا غير أنه يحب العبث والفكاهة.

قالت ناهد: لا إن ما قاله هو ترديد للألم والمهانة التى أصابته من مصطفى النحاس وأمين عثمان، ورغبة خفية فى نفسه بالانتقام منهما.

قال يوسف: لا تبالغين

وابتلعت ناهد أفكارها فى صمت ولم ترد عليه.

لقاء بين ناهد ومصطفى

دعا يوسف بعض أصدقائه إلى مأدبة طبقها الرئيسى بط الصيد، وكانوا ستة: أربعة منهم من صغار ضباط الجيش والخامس ضابط مطافىء والسادس من صغار الموظفين. وكانت أعمارهم تتراوح بين الخامسة والعشرين والثلاثين.

ولما اكتمل شملهم جلسوا فى حجرة الصالون يحتسون الويسكى ويدخنون حتى امتلأت الحجرة بسحب من الدخان اضطرت ناهد إلى فتح النوافذ. ولم تكن ناهد تضيق بالدخان لأنها كانت شرهة إلى التدخين، لكنها خافت أن يؤثر الدخان على الستائر الجديدة البيضاء المشغولة بالدانتيلا. وقد اشترت هذه الستائر فى البيت المتواضع الذى تعيش فيه بمشقة، لأن مرتب زوجها كان ضئيلا.

أخذت ناهد تتطلع بعينيها السوداوين إلى وجوه المدعوين. واسترعى انتباهها أحد الضباط. كان وسيما طويلا جرئ النظرة، شاربه مقصوص بعناية، يرتشف الويسكى بشراهة ثم يتوجه إثر فراغ الكأس إلى البار الصغير ليملأه مرة أخرى. لم يكن قد سبق له دخول منزلها، فقد كانت أول مرة يزور هذا البيت وعلى رغم ذلك كان مصطفى وهذا هو اسمه الأول لا يشعر بأية كلفة وكأنه صديق قديم. ورأته يحدق فيها ويطيل التحديق ويجلس على «الفوتوى» مسترخيًا ومادًا ساقيه ويضحك لأية نكتة يسمعها أو يقولها بصوت عال.

لم تكن ناهد متعودة أن تستقبل فى منزلها هذا النوع الغوغائى الذى يتكلم بلهجة الطبقات الدنيا. إنها وصيفة فى القصر لا تسمع بين الجدران إلا الهمس وعابرى الأروقة يمشون على أطراف أقدامهم. وهى إذا خوطبت فبالتبجيل التركى ياهانم ويا أفندم، ولكن هاهو ذا شخص فى بيتها يطرقع صوته العالى ويهز أرجاء البيت.

وبعد انتهاء العشاء وشرب القهوة فى ساعة متأخرة من الليل، قام المدعون وسلموا على ربة البيت باحترام، إلا الضابط مصطفى الذى شد على يدها بقوة وكأنه يصافح رجلا قائلا: أشكرك على المأدبة الحافلة يا ست ناهد..!

وخرجوا وهى تسمع خلف الباب صوت مصطفى وهو يصيح ضاحكًا فى انتظار المصعد. وصعد الدم إلى رأسها من الغضب. خشية مما يقوله الجيران عن عربدة ضيوفها فى ساعة متأخرة من الليل.

ودخلت مع زوجها غرفة النوم متجهمة، فسألها ما بها.

صاحت فى وجهه: حتى أصدقاؤك لا تعرف كيف تحسن اختيارهم.

قال يوسف: هل تعنين مصطفى؟

قالت ناهد: كيف تدخل منزلنا عربيدًا بمثل ذلك الخلق؟

قال يوسف: إنه ليس صديقى ولكن اصطحبه صديقى فهمى.

قالت ناهد: غريبة أن يصاحب شخص على دماثة أخلاق فهمى مثل مصطفى.

رد يوسف: ليس ضروريا أن تكون مشارب الأصحاب متفقة وأمضت ناهد ليلتها بالتأكيد تفكر فى هذه الشخصية الغريبة التى اسمها مصطفى كمال صدقى.

تحقيق ملكى

ذهب يوسف إلى مكتبه فى القصر فى اليوم الثانى، وكان فى انتظاره بعض ذوى الحاجات يرجون وساطة لقضاء مصالحهم. إنه قبل حادث القصاصين كان طبيبًا مغمورًا التحق بالبحرية لأنــه فتح عيادة فــى القاهرة لم يكن يرتادها إلا الفقراء ممن يرجونه خفض أتعابه إلى الربع وكان طيب القلب لا يساوم بل كان يدفع من جيبه أحيانًا ثمن الدواء.

وقام يوسف فعلا باتصالات تليفونية للتوسط لزواره.

ونظرا لما يعرفه المسئولون عن حظوته لدى الملــك كان رجاؤه منهم دائما محل اعتبار كبير.

مرت ســاعة ودق جرس تليفونه. وكان المتحدث مكتب الملك يدعوه لمقابلته. فاســتأذن زواره وذهب إلى مكتب الملك، حيث أدخل عليه فورًا. وتلقاه فاروق بابتسامة عريضة، لكنه تركه واقفًا أمامه.

قال فاروق: ها يا يوسف. كيف حال ناهد؟

أجاب يوسف: بخير يامولانا.

قال الملك: وماذا فعلتم بالبط؟

قال يوسف: أقمنا وليمة لبعض الأصدقاء.

سأل الملك: هل أستطيع أن أعرف من هم؟

قال يوسف: إنهم أربعة ضباط فى الجيش وضابط مطافىء وموظف يامولاى.

سأل الملك: أربعة ضباط. هل هم من رتب كبيرة أو صغيرة؟

قال يوســف: اثنان برتبة يوزباشــى واثنان برتبة ملازم أول، وضابــط المطافىء برتبة ملازم.

سأل الملك: هل تعرفهم منذ زمن؟

أجاب يوسف: ثلاثة من أيام الدراسة الثانوية. أما الرابع فلم أعرفه إلا الأمس.

قال الملك: وكيف كانت الوليمة؟

أجاب يوسف: بصراحة لقد انتهت يامولاى بغضب ناهد منى.

وروى يوسف للملك ماحدث من عربدة مصطفى.

أغرق الملك فى الضحك لكنه فاجأ يوسف بقوله: تعرف أنا يعجبنى هذا النوع من الناس. إن مصطفى هذا شخص خفيف الظل وأنا أكره الثقلاء. أدعه إلى منزلك، وقل لناهد هذه رغبتى.

ثم سكت قليلا وقال: على فكرة وطد علاقتك بهؤلاء الأصدقاء وأعطنى بيانًا كاملا بأسمائهم ورتبهم فى الجيش والحكومة، ثم تمتم بعبارة خافية: لعلى أكون يومًا ما بحاجة إليهم.

حشيش فى منزل ناهد!

أقام يوسف مأدبة عشاء للأصدقاء أنفسهم الستة: مصطفى وخالد وفهمى وحسن وإبراهيم وتوفيق. وانتهى تناول الطعام وجلسوا فى الصالون يحتسون القهوة ويدخنون وفجأة. أخرج مصطفى علبة من معدن أبيض فتحها وكان فيها دخان وورق للف السجائر. بدأت ناهد تراقبه وهو يضع الدخان فى اللفافة. وزادت دهشتها عندما رأته يخرج من جيبه صرة صغيرة من القماش ويخرج منها حبة بنية غامقة فركها ونثرها على الدخان، وأخذ يلف الورقة ببطء، ثم بلها بطرف لسانه وألصقها وأشعل السيجارة وألقى بعود الثقاب على البساط، ثم اجتذب نفسا طويلا لم يخرجه وهو مغمض العينين، وانبعثت مع الدخان رائحة عطرية.

قلبت ناهد نظرتها بين زوجها ومصطفى. وسمعت فهمى يقول لمصطفى: باين عليك الليلة دى معمر يا ابن.. عمر لى واحدة معاك!

وقال خالد وفهمى وحسن: واحنا كمان معاك..

قال مصطفى صائحا وهو ينظر إلى يوسف رشاد: وانت كمان يا يوسف.

ولكن يوسف هز رأسه معتذرا..

ولدهشة ناهد رأته يقول لها.. وانتى ياست..!

تدخل زوجها على الفور قائلا: لا يا مصطفى ناهد مش بتاعة الحاجات دى.

قال مصطفى بطبيعته الغريبة: والله لو خدت نفس واحد ياست حاتنسى الدنيا واللى فيها.

ونظر مصطفى إلى يوسف زوجها قائلا: أصل ده ماركة فاروق، أحسن صنف حشيش فى السوق كله، أنا بادفع نصف مرتبى علشان اشترى أوقية!

احمر وجه ناهد ونظرت إلى زوجها ولكن نظرة منه أفهمتها أن عليها أن تضبط أعصابها.

أخـذ الآخـرون بعـد أن دخنـوا الحشـيش يصيحـون كما يصيـح مصطفـى ويضحكون ضحكات بلهاء.

وفكـرت ناهد فى أمرهـم، وانتهى تفكيرها إلى أن عربدة مصطفـى عربدة غير متكلفة، بينما دماثة الآخرين ورقة حاشيتهم طلاء ينحسر لهبة بسيطة.

سأكلفهم بمهمة خطيرة

أصبح يوسـف يلازم منزله دائمًا. وإذا خرج إلى مكان فعليه أن يترك نمرة تليفون المكان الـذى يتوجـه إليه أو العنوان. وكانت هذه أوامر الملك. وفـى عصر يوم كان فى منزله عندما تلقى مكالمة تليفونية للتوجه إلى القصر وبصحبته زوجته ناهد. فركبا السـيارة ووصلا إلى مكتـب الملك الذى قام إلى وسـط الغرفة وأخذ بيد ناهد قائـلا: أراك تزدادين جمالا. احمر وجهها، شكرته بصوت خافت ثم أشار إليها بالجلوس وسأل يوسف: ها يا يوسف ماذا يقول الناس عنى؟

قال يوسف: يقولون كل الخير.

رفـع الملك يـده معترضا وهو يقول: بل كل شـىء إلا.. الخير.. علـى كل حال تعودت ذلـك وأصبح لايهمنى أمرهم. لقد طلبتكما للتحدث عـن أصدقائكما، لأنى كنت طلبت إجراء تحريات عنهم أسـفرت عن أنه لاغبار على خمسـة منهم. أما مصطفـى فقد تبين أنه يعتنق المذهب التروتسـكى الذى يرى أن سـتالين يخون المذهب الشـيوعى، وأنـه عضو بارز فى جماعة التروتسكيين فى مصر. وهو يشرب الخمر بشراهة ويدمن تعاطى الحشيش.

رد يوسـف بأنه لايعلم عن مصطفى اعتناق المبدأ التروتسـكى، لكنـه يعلم أنه يتعاطى الحشيش من المأدبة التى أقامها أخيرا. وقصّ على الملك قصة لف سجائر الحشيش.

فضحك الملك قائلا:

إذن فلقد أصبح منزلكم غرزة حشيش.

واسـتمر قائلا: وعلـى كل حال فالتقرير المقدم يقول: إنـه لا يحضر بانتظام اجتماعات لجنة التروتسـكيين، وإنه يعتبر فى نظرهم هاويًا أكثر منه ممارسًـا، وإنه يحلم بالشهرة، وتدور فى رأسه خيالات بطولة وزعامة، يمد الحشيش حبالها وآفاقها. وإنه يحب أن يلبس بدلة جميلة التفصيل، ويحب الطعام الجيد والخمر المعتق والنساء.

وهنـا صـوب الملك نظرة نحو ناهـد التى أحمر وجههـا، ولم تفت النظـرة ومعناها يوسف. وقال:

إنه لو توفر له المال لنسى تروتسكى. وفوق ذلك فهو ضابط فى أحد الألوية المرابطة فى الصحراء، ويطيب له الانتقال إلى القاهرة. أما الضباط الثلاثة الآخرون فواحد يريد أن يلتحق بالمخابرات العسكرية، وآخر بسلاح الفرسان والثالث يريد الالتحاق بالحرس الملكى. وضابط المطافىء يريد رتبة ملازم أول. والموظف يريد الترقية إلى الدرجة الخامسة. إنك ترى يايوسف أن لهم أطماعًا. وسكت فاروق قليلا ثم قال كأنه أستاذ خبير: وصاحب الأطماع تسهل مساومته. هل تدركين يا ناهد ما أريده؟ إننى أعلم أنك ذكية؟

تذكرت ناهد مبلغ غضبه للإهانة التى لحقته يوم ٤ فبراير ودار فى خاطرها هل ترى أنه يريد منا أن نطلب من هؤلاء الضباط عملا ضد من أهانوه؟ ولكى تعبر عن هذا الخاطر سألته ببراعة:

- مولاى! هل تطلب تكليفهم عملا خطيرًا.

قال الملك: نعم وخطير جدًا.

قالت ناهد: إلى أى حد؟

قال الملك: إلى أبعد الحدود. إلى حد القتل. سأصارحكما مباشرة وبلا لف أو دوران. أريد قتل النحاس وأمين عثمان انتقامًا من الإهانة التى لحقت بى. وكنت أود قتل السفير البريطانى مايلز لامبسون. ولكن كل الأصابع ستشير نحوى بأننى المحرض على قتله. ولن أنجو من الخلع عن عرشى. أما النحاس وأمين عثمان فكل ما سيفعله الإنجليز أن تقوم جريدة التايمز برثائهما وتعداد مزاياهما.

ولكن سأصبر على النحاس حتى أتمكن من إقالته هو وأمين عثمان من منصبهما ليصبحا مقصوصى الجناح يسهل اصطيادهما. ولن تكون أداة التحقيق نشيطة فى البحث عن الفاعل كما لو كان على رأس الحكومة.

قالت ناهد: ولكنى لا أرى يا مولاى إنهم يصلحون للقيام بهذه المهمة الخطيرة.

قال الملك: لماذا لا يصلحون؟

قالت ناهد: لأنهم يتعاطون الحشيش.

قال الملك: بالعكس إن المخدر يسلب العقل تقدير مغبة المخاطرة، ويسلب المرء التمييز بين الخير والشر. ألم تسمعى قصة الصَّبَّاح الذى ألف طائفة الحشاشين أو الإسماعيلية فى دمشق، وكان إذا أراد قتل أحد خصومه خدر رجلا وأرسله إليه؟ اسمع يا يوسف. أمامك وقت

لتشكيل أصدقائك فى جماعة. فتول هذه العملية ولك منى شيك على بياض باعطائهم أى شىء يرغبون فيه.

❑❑❑

انصرف الزوجان وهما يشعران بثقل المهمة التى يلقيها الملك على عاتقهما وخطورتها البالغة.

إن ناهد نشأت فى بيت بسيط يسوده الحب والحنان. كان أبوها استاذًا جامعيًا لطيف المعشر، وأمها وصيفة فى القصر لا تفارق الابتسامة والكلمة الحلوة شفتيها ويوسف كان مغمورا بحب والده الذى لم يكن يعنفه على سقوطه فى الامتحان ومغامراته النسائية. وصبر عليه حتى نال شهادة الطب بعد أن تعدى الثلاثين من عمره. فأى قدر يريد أن يرميهما فى هذه المصيبة؟ ولكن الملك يريد ذلك فإذا لم يطيعا أمره فسيعود يوسف الطبيب المغمور وينتقل من مكتب القصر إلى عيادة فى أحد الأحياء الفقيرة فى القاهرة. وناهد لن تحضر إليها سيارة القصر. ولن تلبس البشمك الأبيض الذى تتميز به بأنها من سيدات القصر.

هذه الخواطر وغيرها تبادلاها حين عادا إلى البيت ووجد يوسف لنفسه مخرجا لقبول عرض الملك فقال لناهد: لو رفضنا طلب الملك لتشكيل الجماعة فإنه يستطيع قتلنا حتى لا نفضح سره. وسلمت ناهد بهذا الرأى.

لا إيمانا منها بما قاله زوجها ولكن لأن حبها لحياة القصر كانت أكثر كثيرا من حبها لحياتها بعيدا عن الأضواء.

❑❑❑

١ – فاروق فـى ملابس الصيد الذى يهواه .

٢ – أمين عثمـان ، كان قتلـه أمنيـة مـن أمنيات فاروق.

٣ – دكتـور يوســف رشـاد فى ١٩٥٤ بعد عشر سـنوات كاملة من أول لقاء له مع فاروق فى القصاصين وانضمامه إلى حاشيته .

٤ – السيدة ناهد رشاد ، أصـل شركسـى ، وجمـال استحوذ إعجاب فاروق .

٥ - فـى نادى الصيد مع بوللى الـذى تركه فى مصر حين غادرهـا وكان يبكيه دون دموع .

٦ - بملابـس الصيـد أثناء إحدى رحلاته لبركة دهشور .

٧ – الجميلة ناهد رشاد على المائدة الملكية ، وقد جلس عن يسارها بوللى وعن يمينها كريم ثابت ..

٨ – خلاف بين النحاس وسراج الدين حول التطهير بعد عودتهما من أوربا والاستقبال الفاتر فى القيادة .